المحاضرة الخامسة: الماركسية الكلاسيكية

أهداف المحاضرة:

التعريف بالنظرية الماركسية الكلاسيكية

التعريف بكارل ماركس وأهم إسهاماته

1- كارل ماركس (1818-1886)

ولد في الخامس من شهر ماي 1818 في مدينة ترين trien بروسيا، من عائلة ثرية، أبوه محامي يهودي، تعلم القانون في جامعة بون ثم برلين وتلقى بالجامعة دروسا في الفلسفة، ناقش الدكتوراه في الفلسفة بعنوان "الفرق في فلسفة الطبيعة بين أبيقور وديمقراطيس"، شغل منصب رئيس تحرير صحيفة "الراين" (كانت ضد الحكومة الألمانية) وتبنى الاتجاه الهيجلي اليساري، طرد من باريس واستقر في بروكسل واحتدم الصراع بينه وبين الاشتراكيين الفرنسيين خاصة برودون. توثقت صلته ب "فريدريك إنجلز" وألفا معا البيان الشيوعي الذي بسببه طرد من بروكسل وعاد إلى ألمانيا وشارك في الاضطرابات السياسية والاجتماعية بها، أسس الحزب الشيوعي في1849 أقام في لندن وعاش في بؤس لولا نفقات وميله انجلز توفي في الرابع عشر من شهر مارس 1883 في لندن. **(خواجة عبد العزيز،2012،ص154)**

من مؤلفاته: رأس المال وفيه ثلاثة أجزاء، الإيديولوجية الألمانية، بؤس الفلسفة، العائلة والدولة والملكية، الثورة الاشتراكية وكتاب العائلة المقدسة.**(إحسان محمد الحسن،2005،ص147)**

2-التعريف بالماركسية التقليدية:

سمى ماركس علم الاجتماع "علم المجتمع"وقسم الاشتراكية إلى الاشتراكية المثالية: توماس مور، دو كومبنيلا..، الاشتراكية الفوضوية: برودون، الاشتراكية العلمية (يعتقد أنه هو مؤسسها)، ويتمي ماركس إلى أصحاب الطرح الماكروسوسيولوجي لأنه يتناول المجتمع في كليته بدل أجزائه، والحقب التاريخية الكبرى بدل الأحداث المنفردة. **(خواجة عبد العزيز،2012،ص154)**

"الماركسية نظرية سوسيولوجية ثورية وراديكالية لا تؤمن بتفسير العالم والمحافظة عليه، بل كانت تدعو إلى تغييره جذريا، في إطار منظور تاريخي وجدلي، يؤمن بالعمل والممارسة والبراكسيس، مع السعي الجاد للقضاء على الليبرالية والفكر البرجوازي الفردي. وأكثر من هذا ، فقد وضعت الماركسية تطورا تاريخيا للبشرية التي قطعت أطوارا عدة هي:المرحلة المعاشية، والمرحلة العبودية، والمرحلة الاقطاعية،

والمرحلة البورجوازية، والمرحلة الاشتراكية. وبعد ذلك تنتقل الانسانية إلى المرحلة الشيوعية بعد القضاء علىالملكية الخاصة، وا إزاء الدولة،والقضاء على الطبقات الاجتماعية، وا إشاعة الأموال والنساء."**(جميل حمداوي،2015، ص67)**

تأثر "ماركس" بأفكار "هيجل" ومراجعات "فيورباخ"، وقد طور فلسفتها بطريقة جديدة وواعية، وأخذ عنهما أهم عنصرين: جدلية "هيجل" ومادية "فيورباخ" ودمجهما في توجههالمتميز المعروف بالمادية الجدلية التي تركز على العلاقات الجدلية داخل العالم المادي.**(جورج ريترز،2006،ص51)**

كما أشار "ريترز" إلى أن معظم تعاطف "ماركس" مع بؤس الطبقة العاملة كان مصدره الاتصال بانجلز وأفكاره خصوصا المحاورات التي جرت بينهما في إحدى المقاهي المشهورة بباريس ،وقد قال "انجلز" عن هذه المحاورات "لقد اتضح خلالها التقاؤنا التام في كافة الميادين النظرية وهي تمثل بداية عملنا المشترك" كما عبر عن تفوق زميله بقوله:كاًن بمقدور ماركس أن يعمل جيدا بدوني، وا إن ما أنجزه ماركس لم أكن أنا أستطيع إنجازه، فقد احتل ماركس مكانة أعلى، وكانت له رؤى أبعد، وكانت نظريته أثقب وأسرع مني لقد كان ماركس باختصار عبقريا" **(جورج ريترز،2006،ص ص88-89)**

وقد أصبح "انجلز" بعد وفاة "ماركس" الناطق بلسان الماركسية وقد حرفها بطرق مختلفة وبسطها بشكل زائد . إن الإسهام العلمي لـ "ماركس" و "إنجلز" أخذ طابعا إيديولوجيا راديكاليا لأنه تجاوز كشف الصفة الاستغلالية للنظام الرأسمالي إلى إقامة مجتمع بديل يقوم على رؤية إيديولوجية اشتراكية .وقد سعيا إلى تحقيق وعي حقيقي لدى العمال بتغيير الظروف الموجودة بالسيطرة على وسائل الإنتاج وخلق أساليب إنتاجية جديدة.**(جميل حمداوي،2015،ص ص71،70)**

3- عوامل ظهور المدرسة الماركسية التقليدية و تطورها

يمكننا القول بأن الظروف التي أعانت كارل ماركس على وضع نظريته كانت ظروفاً سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وفكرية، سادت في عصره وعاشها في بداية حياته مثل التناقضات التي جاء بها تطور النظام الرأسمالي في أوروبا خلال القرن التاسع عشر بين طبقة الملاك الرأسماليين وطبقة العمال الكادحين.

هذا و تجدر الإشارة إلى أن التطور الكبير الذي قطعه علم الطبيعة خلال القرن التاسع عشر يتمثل في الكف عن دراسة الأشياء والوقائع منفصلة عن بعضها البعض، والتحول إلى علم نظري يسعى إلى تفسير هذه الوقائع، وا إيضاح الصلة بينها على أساس ديالكتيكي ، وقد ساعدت النظريات و الاكتشافات الكبرى في علم الطبيعة إبان القرن التاسع عشر على تشكيل النظرية المادية الجدلية إلى الطبيعية، كاكتشاف بقاء

الطاقة وتحولها، ونظرية تركيب الكائنات الحية من خلايا، ونظرية داروين التطورية . إضافة إلى الفقر المدقع و الأوضاع المزرية التي كان يعيشها عامة الناس ماعدا قلة منهم و كذا الاضطهاد الكنسي الذي كان يمارس شتى الضغوط على المجتمع الأوروبي.

4- مبادئ النظرية الماركسية الكلاسيكية :

تقوم الماركسية الكلاسيكية على مجموعة من المبادئ :**(نوادري فريدة، 2020/2019 ،ص73)**

- أنها تعبير عن الصراع الطبقي ومصالح مادية.
- فهم العالم ليس مهم بل العمل على تغييره.
- المادة توجه العالم وتفسر التاريخ.
- التاريخ عند الماركسية عبارة عن صراع بين الطبقات نتيجة عوامل اقتصادية.
- الاقتصاد وعلاقات الإنتاج هما أساس كل ظاهرة اجتماعية.
- الدعوة لتغيير العالم لصالح الكادحين مع رفض قاطع للميتافيزيقا.
- تفسير الأحداث والتاريخ بناء على نظام الملكية.
- محاربة الأديان واعتبارها وسيلة لتخدير الشعوب وخادما للرأسمالية والإمبريالية.
- الإيمان بأزلية المادة وأن العوامل الاقتصادية هي المحرك الأول للأفراد والجماعات.
- الأخلاق نسبية وهي انعكاس لآلة الإنتاج
- القضاء على الاستغلال الفردي وسحق الفرد.
- الغاية تبرر الوسيلة بطريقة آلية وأن سعي الفرد لتحقيق أهدافهم يلزمهم بالتفاعل مع العالم المادي هذا الأخير الذي يستلزم وجود علاقات اجتماعية تنشئها الحاجة للتكنولوجيا وهذا ما أطلق عليه "ماركس" قوى الإنتاج.

5- أهم إسهاماته

5-1-المادية التاريخية والمادية الجدلية:

تتكون الماركسية من شقين: المادية الجدلية والمادية التاريخية و فهم هذين الشقين يتحقق معه فهم الفلسفة الماركسية.

تتضمن المادية الجدلية علاقة الوعي بالوجود، المادة والوجود أساس الوعي والفكر فالوجود هو الأولي والوعي هو الثانوي كما تسلم الماركسية بالأساس المادي للعالم وبإمكانية فهمه ومعرفته ،وتدرس هذا العالم المادي على أساس أنه في حالة حركة وتطور مستمر على أساس جدلي أو ديالكتيكي، وأن

العالم المادي تحكمه القوانين نفسها التي تحكم الواقع، وتتمثل قوانين الجدل في: قانون وحدة وصراع الأضداد، قانون التحول الكمي إلى تغير كيفي،وقانون النفي، كما تدرس المادية الجدلية إضافة إلى ماسبق القوانين التي تحكم المعرفة **(سمير نعيم أحمد،2006،ص154)**

"أما المادية التاريخية فهي علم القوانين العامة التي تحكم تطور المجتمع وتكشف الطبيعة المادية الجدلية لتطور الحياة الاجتماعية. وهي عبارة عن تطبيق القوانين العامة للمادية الجدلية على نوع معين من ظاهرات الكون وهو الحياة الاجتماعية".**(سمير نعيم أحمد،2006،ص154)**

وقد ضمن "إحسان محمد الحسن" في كتابه "النظريات الاجتماعية المتقدمة" أن النظرية المادية التاريخية الديالكتيكية تعتبر من أهم النظريات الأساسية للفكر الماركسي إذ أنها تفسر التاريخ والمجتمع والسياسة تفسيرا ماديا جدليا، وهذه الدراسة التاريخية الديالكتيكية للظاهرة الاجتماعية تدرسها من ثلاث زوايا أسلسية، فكل ظاهرة اجتماعية لا يمكن فهمها أو استيعابها دون دراستها دراسة تاريخية فالماضي يساعد على فهم الحاضر ، وفهمهما معا يساعد على قراءة أو التنبؤ للمستقبل ما يمكن من اشتقاق قوانين عامة تفسر مسيرة المجتمع أو الظاهرة المدروسة **(إحسان محمد الحسن،2005،ص147)**

وأتبع ذلك أن الدراسة التاريخية للظاهرة الاجتماعية فقط غير كافية بل ينبغي دراستها دراسة مادية اقتصادية أيضا، لأن الواقع هو الذي يؤثر في الوعي وأن الوعي لا يؤثر في الواقع(الظروف والمعطيات الاجتماعية والاقتصادية للفرد) بأي شكل من الأشكال. قاصدا بالوعي (جملة الأفكار والمعتقدات والقيم والمبادئ والدين والفلسفة التي جميعها تتأثر بالعوامل المادية ولا يمكن أن تؤثر في هذه العوامل، وأن تغيير العامل الاقتصادي للإنسان يؤدي إلى تغيير وعيه الاجتماعي . ما جسده من خلال الفروقات بين وعي الطبقة العمالية والطبقة البرجوازية التي تعزى إلى اختلاف معطيات وظروف كل طبقة عن الطبقة الأخرى. **(إحسان محمد الحسن،2005،ص148)**

*الغني ـــــ وضع اقتصادي متميز ـــــ معنويات عالية وشخصية مؤثرة ـــــــ احترام وتقدير ـــــــ نصيب في المناصب السياسية ـــــ مكانة دينية متميزة.

*الفقير ـــــ وضع اقتصادي معدم ـــــ معنويات ضعيفة ومهزوزة ـــــــ عدم احترامه وتقييمه من الآخرين ـــــ نصيب ضعيف أو معدوم في المناصب السياسية ـــــ مكانة دينية واطئة.

5-2- اغتراب العمل:

اشتق ماركس نظرية الاغتراب من فلسفة هيجل الجدلية، وقصد به عملية تتحول بمقتضاها لتصبح غريبة في عالم أوجده العمل وهو حالة تاريخية وليس حالة عامة أو عالمية، وحدد "ماركس" أربعة خصائص

أساسية للاغتراب : اغتراب الإنسان عن الطبيعة، واغترابه عن نفسه، واغترابه عن نوعه أو بني جنسه ، واغترابه عن غيره. وقد اعتبر "ماركس"أن الرأسمالية أدت إلى اغتراب الإنسانية عن نشاطها أي عن نتائج عملها.(السيد عبد العاطي السيد،2005،ص 86)

3-5 الطبقات والصراع الطبقي : "تكمن نظرية ماركس للطبقات في فكرة أن التاريخ في المجتمع الحالي هو تاريخ الصراعات الطبقية.ووفقا لهذا الرأي، ومنذ أن ظهر المجتمع البشري منذ حالته البدائية غير المميزة، في ظل المجتمع البشري مقسماً بين الطبقات التي تتصادم معاً بسبب المصالح الطبقية. ففي العالم الرأسمالي -على سبيل المثال- تعتبر الخلية النووية لنظام الرأسمالية وهو المصنع هو الموضع الأساسي للعداء بين الطبقات بين المستغلين ومن يتم استغلالهم ...إن الأوضاع غير المتساوية في جميع الأزمنة وتحت جميع الظروف تؤدي إلى الصراع الطبقي .."**(جمال محمد أبو شنب،2015،ص118)**

4-5- التعليم: تنطلق الرؤية الماركسية في تحليل التعليم من افتراض أساسي حول وجود تأثير بين نمط علاقات الإنتاج في المجتمع (البنية التحتية) على مجمل مظاهر البناء الفوقي بما يتضمنه من فكر وقيم وتعليم، وأن هذا التأثير يعتبر محددا أساسيا في بلورة وظيفة التعليم في المجتمع بهدف إعادة إنتاج العلاقات الاقتصادية والاجتماعية السائدة فيه. **(حمدي علي أحمد: 2003، ص148).**

فالنظام التعليمي يعيد إنتاج بناء الطبقة الموجودة بكل ما لها من اضطهاد واستغلال فهو يعيد إنتاج الطبقة ماديا (عدم تكافؤ الفرص في الثروة والدخل)، وثقافيا (كما في اتجاهات وقيم أعضاء الطبقات المختلفة). **(حمدي علي أحمد: 2003، ص148).**

وترتبط الرؤية الماركسية لدور التعليم في المجتمع الصناعي الرأسمالي بعدد من القضايا تتعلق بفهم طبيعة المجتمع والحياة الاجتماعية بصفة عامة والقضية الأساسية تتجسد في السؤال التالي:

كيف يشكل البناء الاقتصادي التحتي النظام التعليمي؟ ويمكن أن تشتق منه:

كيف يوفر نظام التعليم نمط قوة العمل التي تتطلبها استمرارية الرأسمالية؟ تلك العملية التي تتضمن البحث في العلاقات بين القوة والأيديولوجية والتعليم وبين علاقة الإنتاج في المجتمع الرأسمالي. **(حمدي علي أحمد: 2003، ص150).**

يوجد إسهام آخر حول أهمية الموازين الطبقية في العملية التربوية وعلى أهمية الانتماء الاجتماعي في تحديد نسق التصورات والقيم التي تسود كل طبقة اجتماعية وقد أوضح ذلك في كتابه "نقد برنامج غوته critique du programme de Gotha " إلى تحليل نقدي لمسألة تربية الأطفال في

إطـار الطبقـة العاملـة فـي المجتمعـات الرأسـمالية وأشـار إلـى أهميـة الإكـراه الـذي يعانيـه الآبـاء وانعكاسـه السلبي على العملية التربوية. **(علي أسعد وطفة: 1424-1425هـ-2003-2004م، ص18).**

ويعتبر "كارل ماركس" أكثر وضوحا في رؤية علاقة التعليم بالتنمية الاقتصادية، وأن الاستثمار في التعليم الجيد له عائد اقتصادي عظيم، وأن التعليم يعطي مرونة وقدرة على التحرك من مهنة لأخرى. **(حمدي علي أحمد: 2003، ص ص 27-28).**

إن للتعليم آلية لإعادة إنتاج النظام القائم بكل مكوناته وا ٍعداد أفراد المجتمع لمواقعهم الاجتماعية وتوزيعهم في مجالات العمل. أي أن قوى الإنتاج التي يعكسها أسلوب الإنتاج الخاص بها في الفترة التاريخية المحددة هي التي تتحكم في الأفكار والقيم ومختلف مكونات البناء الفكري للمجتمع، كما أشار "أحمد عبد السميع" أن الماركسية ترى أن النظام الطبقي ومن خلال البنية المادية والفكرية للطبقة المسيطرة التي تستغل باقي القوى في المجتمع، ويسهم النظام التعليمي في إعادة إنتاج علاقات السيطرة لصالح القوى المسيطرة على الحكم. **(نعيم حبيب جعنيني: 2009، ص29).**

تقييـم ونقد النظرية الكلاسيكية:

كأي نظرية وجهت إلى ماركس بعض الانتقادات نذكر منها:

- اتهام ماركس بأن نظريته تقوم على الحتمية أو أساس ميتافيزيقي و تقوم على جانب واحد فقط حيث أنها في حقيقة الأمر علاقة تبادلية تأثر و تأثير.

- أن فروض ماركس لها صفة قوانين عامة لكنها مجرد مبادئ.

- نظرية ماركس تعتريها أخطاء فيما يخص الوصف الفعلي لنمط الصراع و التوازن، و لكنه أيده من في خلال الوجهة التاريخية.

- كذلك نظرية ماركس تبقى ناقصة و أن الصراع الطبقي لم يتم في الطبقة الرأسمالية للانتقال إلى الطبقة الاشتراكية و من ثم إلى الشيوعية كما كان يطمح الخاصة.